

# التمثيلات الاجتماعية: مفهوم في مفترق طرق العلوم الاجتماعية

## Social representations: a concept at the crossroads of the social sciences

### Les représentations sociales: un concept au carrefour des sciences sociales

أمين حمليل

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله

تاريخ الإرسال: 2024-11-28 - تاريخ القبول: 2025-02-18 - تاريخ النشر: 2025-02-27

#### ملخص

يعتبر مفهوم التمثيلات الاجتماعية، كمجموعة من الأفكار والمواقف والمشاعر التي تُبنى في الإطار الاجتماعي العلانقي نحو ما تتضمنه الحياة الاجتماعية. وهو مفهوم محوري بحيث وظف في مختلف حقول علوم الإنسان والمجتمع، بدءاً بالفلسفة مروراً بعلم الاجتماع وصولاً إلى علم النفس الاجتماعي، الأمر الذي يعطي خصوصية التميز لما يحمله من دلالات مفاهيمية حسب إيستيمولوجية كل حقل معرفي. ففلسفياً، تُعدُّ التمثيلات الاجتماعية إحدى أهم المقولات الفلسفية الهامة التي يمارس من خلالها الإنسان فعل التمثل، حيث يصبح العقل هو المصدر الأساسي في بنائها، في حين يؤثر المجتمع بمختلف حتمياته الاجتماعية بصورة مباشرة في بنائها سوسولوجياً. أما علماء النفس الاجتماعي، فينتقلون من مسلمة تتمثل في ثنائية تشكيل بناء التمثيلات الاجتماعية وفق العلاقة الجدلية والمتكاملة بين العوامل النفسية الذاتية والاجتماعية العامة، التي تؤثر بصفة مباشرة في بنائها. ونظراً لأهمية هذا المفهوم، تهدف هذه الدراسة إلى التطرق لتحديد مفهوم التمثيلات الاجتماعية وفق إيستيمولوجية كل حقل معرفي من جهة، وبيان التطور التاريخي للمفهوم وصولاً إلى تبلوره النظري من جهة أخرى.

الكلمات الدالة: المفهوم؛ التمثيلات الاجتماعية؛ العلوم الاجتماعية؛ الإيستيمولوجيا؛ الفلسفة؛ علم الاجتماع؛ علم النفس الاجتماعي.

#### Abstract

The concept of social representations, as a system of ideas, attitudes, and feelings that are constructed within the relational social framework towards subjects, the world, and objects, is considered a pivotal concept. It has been employed in various fields of human and social sciences, beginning with philosophy, passing through sociology, and reaching social psychology. This grants it a distinctive

specificity due to the conceptual connotations it carries, which vary according to the epistemology of each field of knowledge. Philosophically, social representations are among the most significant philosophical categories through which individuals engage in the act of representation, where the mind becomes the primary source of their construction. Sociologically, society, with its various social imperatives, directly influences their formation. As for social psychologists, they base their approach on a premise that considers the dual formation of social representations, shaped through a dialectical and integrated relationship between subjective psychological factors and broader social factors, both of which directly impact their construction. Thus, given the importance of the concept of social representations, this study aims to define it according to the epistemology of each field of knowledge on the one hand, and to trace the historical development of the concept leading to its theoretical formulation on the other.

**Keywords:** concept; social representations; social sciences; epistemology; philosophy; sociology; social psychology.

### Résumé

Le concept de représentations sociales, en tant que système d'idées, d'attitudes et de sentiments construits dans le cadre relationnel social envers les sujets, le monde et les objets, est considéré comme un concept central. Il a été utilisé dans divers domaines des sciences humaines et sociales, en commençant par la philosophie, en passant par la sociologie et en arrivant à la psychologie sociale. Cette spécificité distinctive provient des connotations conceptuelles qu'il porte, qui varient selon l'épistémologie de chaque domaine de connaissance. Philosophiquement, les représentations sociales sont l'une des catégories philosophiques les plus importantes à travers lesquelles une personne pratique l'acte de représentation, où l'esprit devient la source principale de leur construction. Sociologiquement, la société, avec ses divers impératifs sociaux, influence directement leur construction. Quant aux spécialistes en psychologie sociale, ils fondent leur approche sur une prémisse qui considère la double formation des représentations sociales façonnée par une relation dialectique et intégrée entre les facteurs psychologiques subjectifs et des facteurs sociaux généraux, qui influencent tous deux directement leur construction. Ainsi, compte tenu de l'importance du concept de représentations sociales, cette étude vise à le définir selon l'épistémologie de chaque domaine de connaissance, d'une part, et à retracer le développement historique du concept ayant conduit à sa formulation théorique d'autre part.

**Mots-clés:** concept; représentations sociales; sciences sociales; épistémologie; philosophie; sociologie; psychologie sociale.



## مقدمة

يعتبر مفهوم التمثلات الاجتماعية، باعتباره نسقًا من الأفكار والمواقف والمشاعر التي تُبنى جماعياً من خلال العلاقات الاجتماعية، من أجل إدراك الواقع الاجتماعي وما يتضمنه من أشياء، مواضيع، وأشخاص، وإعادة بنائها معرفياً بغية إدراكها والتحكم فيها. فهو مفهوم تحليلي ومحوري ويضعه دواز في مفترق طرق العلوم الإنسانية والاجتماعية " إذ إن دراسته تغطي مجالات عديدة من العلوم الإنسانية والاجتماعية" (Doise; 1985). حيث وُظف في مختلف حقول علوم الإنسان والمجتمع، بداية بالفلسفة، مروراً بعلم الاجتماع، وصولاً إلى علم النفس الاجتماعي، الأمر الذي يعطي خصوصية التميز لما يحمله من دلالات مفاهيمية حسب إبستمولوجية كل حقل معرفي.

فقد أردنا من خلال هذه الدراسة التطرق إلى تحديد المعنى العلمي لمفهوم التمثلات الاجتماعية والتطور التاريخي لدلالاته المعرفية، وفق مقاربات العلوم الإنسانية والاجتماعية المختلفة فلسفياً، سوسيولوجياً وسايكولوجياً، ومن ثمة توظيف هاته الدلالات المعرفية لمفهوم التمثلات الاجتماعية في مختلف بحوث العلوم الإنسانية والاجتماعية، حسب كل حقل معرفي على وجه العموم، وتوظيف الدلالات المعرفية لهذا المفهوم وفق الطرح العلمي السايكولوجي والسوسيولوجي الذي يتجاوز الطرح الفلسفي على وجه الخصوص. وهكذا تبرز لنا أهمية بناء مفهوم التمثلات الاجتماعية موضوعياً، لتوظيفه كمفهوم تحليلي وعلمي في توجيه البحوث العلمية في مختلف حقولها. ولتحقيق هذا الهدف اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الكيفي القائم على الوصف والتحليل، من خلال التطرق إلى تعريف المفهوم وإبراز مختلف الأسس الإبستمولوجية والدلالات المعرفية، وكذا مختلف التطورات العلمية وفق كل تخصص علمي. وعليه، ما هي الدلالات المعرفية التي يتضمنها هذا المفهوم؟ كيف تم بناؤه؟ وما هي التطورات المعرفية والإبستمولوجية التي عرفها حسب كل حقل معرفي؟

## 1. إسهامات الفلاسفة في تأسيس مفهوم التمثلات الاجتماعية

يتفق المؤرخون لمفهوم التمثلات الاجتماعية على اعتباره مفهوماً قديماً جداً، ظهر بداية في الحقل الفلسفي، حيث إن الفلاسفة هم أول من طرحوا تساؤلاتٍ عن العلاقات الموجودة والممكنة بين المواضيع والأفراد. ويرى أغلب الباحثين أن مفهوم التمثل ظهر



أول مرة في كتاب الفيلسوف "آرثر شوبنهاور 1778-1860" الموسوم "العالم إرادة وتمثلاً " سنة 1818، حيث يرى شوبنهاور أن "العالم هو تمثيل، أي إنه يكون قائماً هناك بالنسبة لشيء آخر، أعني بالنسبة لذلك الذي يمثله، وهو الشخص نفسه، ولذلك فإن العالم بوصفه تمثلاً، وهو الجانب الذي نتأمله بمفرده هاهنا، يتألف من نصفين جوهريين ضروريين ومتلازمين. النصف الأول هو الموضوع، وهو خاضع لصورتي الزمان والمكان اللذين تنشأ من خلالهما الكثرة، أما النصف الآخر فهو الذات، فهي لا تقع في إطار المكان والزمان، لأنها تتجزأ في كل موجود يقوم بفعل" (شوبنهاور، 2006).

ويعتبر الفيلسوف المثالي الألماني "إيمانويل كانط 1724-1804" من بين هؤلاء الفلاسفة الذين أشاروا إلى دور الوسائط والتفاعل بين الفرد ومواضيع المعرفة. فالمعرفة الحسية هي عمل بنائي، بحيث أن البنائية صفة تُطلق على كل النظريات والتمثلات التي تنطلق في تفسيرها للتعلم، من مبدأ التفاعل بين الذات والمحيط، من خلال العلاقة التبادلية بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، ف"معارفنا تتشكل من مواضيع، ما هي إلا تمثلات، أي أن أفكارنا ومعارفنا هي نتاج أطر وبنى ذهنية، كما أن المعرفة النهائية للواقع هي معرفة مستحيلة (Ruano: 1993).

وهكذا تشكل التمثلات الاجتماعية إحدى الموضوعات الكبرى في الفلسفة، من الزاوية العملية، حيث يحدد فيها على العموم، كفعل تنظم بواسطته مواد ملموسة في مقولات أو مواضيع فكر، ومن زاوية الناتج، يدل فيها على محتويات فعل الفكر، سواء كانت واعية أم العكس. إن تيار فلسفة التمثل المستوحى من ديكارت يؤكد على التمثل، الذي يُحلّل كصورة عقلية تعيد إنتاج إدراك سابق في غياب أي نشاط حواسي راهن، وافد من العالم الخارجي. أما فلسفة التأمل، التي تعود بأصلها إلى "هيغل 1770-1831 Hegel"، فتؤكد على ديناميكية العملية وعلى الجدلية الفكرية التفاعلية المتواصلة بين النشاط الفكري وخصائص العالم الملموس الخارجي المختلفة، التي لا يتجلى نتاجها في تجريدات صورية مثالية مجمدة، وإنما في بُنى عقلية ناشطة، مشحونة على الدوام بدلالات جديدة.

كما ظهر هذا المفهوم في الأدبيات الفلسفية العربية، حيث اعتبر العلامة الفيلسوف الموسوعي ابن سينا (981-1037) "أن الأشياء لها وجودان: وجود خارج الذهن، وأطلق



عليها الأعيان، ووجود في الذهن، وسماه التصور" (سيمس: 2009). فإدراك الواقع يتشكل بمدى الوعي الفكري لهذا الأخير. وتطرق العلامة ابن خلدون (1332-1406) لهذا المفهوم في مقدمته المشهورة، حيث تحدث عن التمثيلات باعتبارها صورة ذهنية للتمثل، إذ قال: "إن أسباب التصورات تصورات أخرى، وكلما يقع في النفس من تصورات فمجهول سببه؛ إذ لا يطلع أحد على مبادئ الأمور النفسانية، ولا على ترتيبها، إنما هي أشياء يلقيها الله في الفكر، تتبع بعضها بعضاً، والإنسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها، وإنما يحيط علماً بالأسباب الظاهرة التي هي طبيعة ظاهره وتقع في مداركنا على انتظام وترتيب؛ لأنها الطبيعة محصورة في النفس، أما التصورات فنطاقها أوسع من النفس؛ لأنها تخص العقل الذي هو فوق طور النفس" (Laiviens and all; 2002). وعليه، فالتمثيلات الاجتماعية في الاقتراب الفلسفي تبقى رهينة الفكر والذهن في بناء مختلف دلالاتها المعرفية، الأمر الذي انتقده علماء الاجتماع لغياب الطرح العلمي.

## 2. إسهامات علماء الاجتماع في بلورة بناء مفهوم التمثيلات الاجتماعية

لقد اهتم الباحثون السوسيولوجيون منذ النشأة الأولى لعلم الاجتماع بمفهوم التمثيلات الاجتماعية، فكانوا السباقين إلى توظيفه في دراساتهم على خلاف الكثير من التخصصات الأخرى، الموجودة ضمن حقل العلوم الإنسانية، الشيء الذي أكده "هالباش Halbwach" بدراسته لمؤلفات "إميل دوركايم" حول أسبقية السوسيولوجيا على علم النفس بخصوص موضوع التمثيلات. ولعل أول دراسة كانت لعالم الاجتماع الألماني جورج زيمل (George Simmel, 1918-1858) الذي قام بدراسة لفهم العلاقة الموجودة بين وضعية الفرد البعيدة عن الآخرين والحاجة إلى تمثيلهم، حيث: "يرى زيمل في التمثيلات نوع من العملية التي تمكن من بلورة الأفعال المتبادلة بين مجموعة من الأفراد، وتشكيل الوحدة العليا التي هي المؤسسة (الحزب، الكنيسة)" (Moscovici; 1961).

فيبني الفرد مجموعة من القيم والأفكار التي يشكل بها ذهنياً رابطته الاجتماعي مع الآخر. وفي إطار محاولة معرفة معاني الأفعال الإنسانية للأفراد، جعل "ماكس فيبر MAX Weber" 1864-1920 من التمثيلات الاجتماعية إطاراً مرجعياً لأفعال الأفراد الاجتماعية، فيقول في هذا الصدد: "يتجلى أن هذه الوضعيات الجماعية، التي تنتهي إلى الفكر اليومي أو الفكر القانوني أو لأي تفكير متخصص، هي تمثيلات لشيء ما تتردد



في عقول الناس، ليس فقط القضاة والموظفين، بل كذلك الجمهور، حيث توجه نشاطهم وبنيتهم، ولها أهمية سببية معتبرة، بل مهيمنة من أجل السير الطبيعي لنشاط الأفراد الواقعيين" (Moscovici, 1961). كما عُرِفَت التمثلات الاجتماعية في قاموس علم الاجتماع "Gilles Ferréol" بكونها "صور من الواقع، المعتقدات، القيم، النظم المرجعية، ونظريات اجتماعية في غالب الأحيان" (sans année, Gilles)

ويعود استخدام التمثل الاجتماعي باعتباره مفهومًا سوسولوجيًا تحليليًا إلى عالم الاجتماع الفرنسي "إميل دوركايم"، وفي هذا الإطار يعترف "سارج موسكوفيتسي" بحق الأسبقية لإميل دوركايم في تطرقه إلى هذا المفهوم، وتحديدده لحقل بحث جديد في علم النفس. وأشار إلى وحدة الانشغالات التي يتقاسمها حول هذا الموضوع مع علماء الاجتماع والانتروبولوجيين" (Ramos, 1992)، حيث أطلق دوركايم عليه تسمية التمثلات الجماعية، لتمييزه عن التمثلات الفردية التي يقوم بها الأفراد منعزلين، مركزًا على دور المجتمع كموضوع أساسي لتفسير ما يجري داخله، ومدى تأثير هذا الأخير على وعي الأفراد في بناء تمثلاتهم الاجتماعية، بمهارة أكاديمية واضحة، في المقال الذي نشره سنة 1898 في كتابه "التمثلات الفردية والتمثلات الجماعية"، محدّدًا خصائص التمثلات الجماعية والتمثلات الفردية" (Durkheim, 1998) موضحًا بذلك أن الفكر المنطقي هو من إبداع المجتمع وليس صفة طبيعية للفرد.

فالتمثلات الجماعية "أساسها المشاعر الناتجة عن تفاعل الكثير من خلايا المخ، حيث تمتاز تلك المشاعر لتكوّن تمثّلات فردية، في حين أن التمثّلات الجمعيّة تنتج عن طريق مزج الضمائر الفردية واتّحادها"، مشدّدًا على دور الوعي الاجتماعي في صياغة الوعي الفردي، منتهيًا إلى القول بأنّ الغالبية الكبرى من آرائنا وميولنا ليست من صنعنا، وإنّما تأتينا من الخارج (Claude and all, 1998).

فدوركايم اعتبر التمثلات الاجتماعية "واحدة من الحقائق الاجتماعية التي يعنى بها علم الاجتماع، وهي المعتقدات، الأفكار، القيم، الرموز، والتوقعات التي تشكل طرق التفكير والشعور، والتي تتسم بالعمومية والديمومة ضمن مجتمع ما، أو مجموعة اجتماعية ما، والتي يتشاركها أفراد المجتمع باعتبارها خاصية جماعية" (سكوت: 2009). وذلك من خلال أعماله حول التمثلات الجماعية، حيث اهتم هذا الأخير بالكيفية التي



ينظم بها الدين والمعتقدات المرتبطة في الحياة القبلية الأسترالية في بداية القرن العشرين، أين تم توظيفه في دراسة الظاهرة الدينية في المجتمعات البدائية، حيث عرف التمثل الاجتماعي بأنه "طبقة واسعة من الأشكال الذهنية (العلوم، الأساطير، الديانات، الوقت، الأفكار، المعارف بدون تمييز، فهي مشتركة ويعاد إنتاجها بطريقة اجتماعية، وهي منتقلة بين الأجيال وتمارس قهرا على الأفراد (Durkheim, 1998) .

كما أن دوركايم يرى بأن الحياة الاجتماعية كلها مكونة من تمثلات، فحالات الوعي الجماعي المجتمعي هي من طبيعة أخرى، لها وجودها المستقل بذاته مقارنة مع حالات الوعي الفردي. إذ ليس المهم معرفة طريقة فردانية للمفكر في تمثله لمؤسسة ما، بل معرفة الإدراك في الجماعة من خلال التفاعلات الاجتماعية الممكنة داخل المجتمع. والجدير بالملاحظة هنا أن نشير الى زاوية الاقتراب السوسيولوجي الذي حدد من خلاله إميل دوركايم هذا المفهوم، ونعني به تناول الماكرو سوسيولوجي، أين ركّز على جانب الحتمية والقهر الاجتماعيين الذي يمارسه المجتمع ومدى تأثيرهما على بناء التمثلات لدى الافراد.

ومن هذا المنطلق الاجتماعي والجماعي، يعرف دوركايم التمثلات الاجتماعية، التي أطلق عليها تسمية التمثلات الجمعية، بأنها "إدراكات وتصورات ذهنية متعلقة بجماعة (مجتمع أو مجموعات اجتماعية)، وهو مصطلح عام يغطي أيضاً التصورات العادية (إدراكات الزمن، المجال، القوالب الاجتماعية، والأنساق التي تمت صياغتها للتصورات (النظرة إلى العالم، الأطر الدينية، الايديولوجيات) وكذلك المخيال الاجتماعي (الأحلام، الأساطير، الفانتازم الجماعي) " (Durkheim, 1998)

يرتبط، حسب إميل دوركايم، وجود التمثلات الاجتماعية بوجود المجتمع، لأن الأفراد المكونين للمجتمع يحتاجون إلى التفاهم فيما بينهم ليتسنى لهم العيش المشترك، وهذا ما يجعل هذه التمثلات الاجتماعية تفرض عليهم ولا تخضع لأهوائهم ونزواتهم ف"بمجرد وجود المجتمع، يوجد معه أيضاً، خارج الأحاسيس والصور الفردية، نسق من التمثلات التي تتمتع بخصائص هائلة، وبفضل هذه التمثلات يحدث تفاهم بين الأفراد، وتتداخل الأفكار فيما بينهما.



إن هذه التمثلات تملك نوعاً من القوة، ونوعاً من النفوذ الأخلاقي يسمحان لها بان تفرض على الضمائر الفردية، وعليه يدرك الفرد على الأقل بصفة غير دقيقة، أنه فوق هذه التمثلات الخاصة، هناك عالم من المصطلحات النموذجية التي يضبط على أساسها أفكاره، وأنه يلمح عالمًا فكريًا يساهم فيه، لكنه يتجاوزه" (Durkheim, 1991). وهذا الارتباط بين المجتمع والتمثلات الاجتماعية موجود منذ فجر الإنسانية، منذ أن عرفت سبيلها إلى الاجتماع، بل أكثر من ذلك، فإن الكائن الاجتماعي لا يكون كذلك لو لم يعمل على إنتاج تمثلات جماعية عن طريق المفاهيم. فهي، أي المفاهيم، "تعبّر عن الطريقة التي يتمثل بها المجتمع الأشياء، وهو قولنا أيضًا إن التفكير المفهومي بدأ مع الإنسانية، وإننا نرفض أن نرى في ذلك منتج ثقافة متأخرة. إن الإنسان الذي لا يفكر عن طريق مفاهيم ليس إنسانًا، لأن ذلك لا يجعل منه كائنًا اجتماعيًا" (Durkheim, 1991). فبالنسبة إلى دوركايم، التمثل الاجتماعي هو مفهوم مشترك ينتج عن الحياة الاجتماعية الناتجة عن علاقات التفاعل الاجتماعي، من خلال الأفكار والقيم والمبادئ التي تشكل المرجعية الأساسية للتمثلات الاجتماعية المكونة للضمير الجمعي للأفراد، فيصبح بذلك التمثل مشتركًا ومدركًا بطريقة جماعية، الأمر الذي يعطيه حق الدوام وقوة الاعتبار.

وهذا ما ذهب إليه الدكتور سعيد سبعونفي أطروحته للدكتوراه، التي تناول فيها تمثلات الطلبة الجزائريين حول الجندسانية، حيث يرى بان التمثلات الاجتماعية "تدرك من خلال الرباط التي تعمل على إيجاده بين المستويات الرمزية وواقع العلاقات الاجتماعية المعطاة للملاحظة. هكذا يمكننا القول إنها الصيغة التي تنعكس بها الظواهر الاجتماعية في البناءات الذهنية والرمزية، التي ينتجها الأفراد حول هذه الظواهر. إذا اعتبرنا أن الظواهر الاجتماعية ليست مقتصرة أو مختصرة في جملة من الممارسات العملية المعطاة للملاحظة، ولكن هذه الممارسات الملاحظة هي أيضًا نظام من البناءات الذهنية والأفكار التي تعمل على تفسير العالم المحيط بنا" (سبعون، 2006: 2005).

من هذه الدراسة نستشف العلاقة المزدوجة بين الجانب النظري والتمثل في مجموعة الأفكار والقيم والمشاعر والأحاسيس المشتركة التي أطلق عليها بالبناءات الذهنية،



والممارسات السلوكية التي تمثل الجانب العملي الملموس للممارسات الاجتماعية الخارجي للعناصر المشكلة للتمثلات الاجتماعية.

انتقد علماء النفس الاجتماعي المقاربة السوسولوجية للمفهوم على وجه العموم، ومقاربة إميل دوركايم على وجه الخصوص، حيث يرى سارج ماسكوفيتسي بأن دوركايم " يعتبر أن كل الأفراد متشابهين في كل خصائصهم، متناسيا وجود فروقات بينهم في الخصائص والقدرات المعرفية ... إلخ، بل هو لا يُعطي أهمية كبيرة للجانب النفسي وللمبادرة الفردية. أما بالنسبة إلى التمثل الجمعي فقد يكون متناقضاً أو خاطئاً، وبالتالي لا يترك الحرية للفرد في إبداء رأيه أو التغيير، بل هو خاضع لمعتقدات المجتمع سواء كانت صحيحة أم خاطئة" (Moscovici, 1989). كما تعتبر جودلي التمثلات الاجتماعية بالمفهوم السوسولوجي " ساذجة، طبيعية ومشتركة بين أفراد مجتمعنا وليست علمية حيث تفتقد للموضوعية." (Jodelet, 1984)

### 3. إسهامات علم النفس الاجتماعي في بلورة بناء مفهوم التمثلات الاجتماعية

يعتبر عالم النفس الاجتماعي الفرنسي "سارج ماسكوفيتسي" (1925-2014) أول من وظف مفهوم التمثلات الاجتماعية في علم النفس الاجتماعي، وأقحمه في مجال الدراسات العلمية الميدانية من جديد، خلال دراسته الرائدة حول نظرية التحليل النفسي لفرويد، وذلك بعد فترة الركود التي عرفها المفهوم، حيث "عرف جزر أو تراجعاً ما ينيف عن ستين سنة، بما يعادل أكثر من نصف قرن" (Doise, 1985)، معتبرا السياق الاجتماعي وما يتضمنه من مناخ علمي وثقافي الذي نعيش فيه لا يخلو من التمثلات، واصفا إياه بأنه "عهد التمثلات الاجتماعية بامتياز" (Moscovici, 1961).

حيث تطرق إلى تعريف مفهوم التمثلات الاجتماعية في كتابه العلمي الذي هو في الأصل أطروحة درجة الدكتوراه، قدمها في جامعة باريس السوربون، بعنوان "التحليل النفسي صورته وجمهوره" في المجتمع الفرنسي سنة 1961، بأنه "شكل خاص من المعرفة ومجموعة من القوانين المنظمة، وهي إحدى العمليات النفسية التي بفضلها يستطيع الأفراد جعل الواقع النفسي والاجتماعي مفهوما واضحا"، فالتمثل في نظره عملية ذهنية ينتجها العقل بتفاعله مع العالم الخارجي لإعادة بنائه، فهو يعتبر عملية التمثلات الاجتماعية "إعادة إظهار الشيء للوعي مرة ثانية رغم غيابه في المجال المادي"



(Moscovici; 1961)، ويتم هذا من خلال التفاعل الاجتماعي، فاستُبدل بالتالي مفهوم التمثلات الجماعية بالمعنى الدوركايي بالتمثلات الاجتماعية، وهنا يختلف مع دوركايي باعتبار أن المجتمع يؤثر بصفة مطلقة على وعي الأفراد وإدراكاتهم رغم كونه يتفق معه في كون التمثلات الاجتماعية تنشأ وتُبنى في إطار اجتماعي من خلال العلاقات الاجتماعية التي يبنها الأفراد في المجتمع، وهو الأمر الذي يتفق عليه مختلف المتخصصين في بلورة المفهوم.

عرف مفهوم التمثلات الاجتماعية في حقل علم النفس الاجتماعي تحولات معرفية وابتسولوجية ومنهجية أساسية، تتميز بكونها تمزج بين البعد النفسي والبعد الاجتماعي للإنسان، من خلال بناء استراتيجيات مرنة للأفراد كفاعلين اجتماعيين وفق التوجه الفعلائي والعقلاني، بعدما كان غائباً في المقاربة الدوركايية للمفهوم، فرغم اعتراف موسكوفيتسي بأسبوعية دوركايي في بناء المفهوم علمياً، إلا أنه تجاوزه بإسهاماته ومقاربتة العلمية السيكو-سوسولوجية.

عرف وليام دواز (1935) التمثلات الاجتماعية بكونها: "عبارة عن مبادئ مؤلدة لمواقف تكون مرتبطة باندماجات نوعية ضمن جملة من العلاقات الاجتماعية، ومنظمة للسيرورات الرمزية التي تتكون ضمن هذه العلاقات" (Doise; 1986). حيث ركز على اهتمامه على الإطار العام الذي تنشأ فيه التمثلات، أي المجتمع ككل، أين تتفاعل المجموعات والفئات الاجتماعية مع بعضها البعض حول موضوع التمثل. مبيئاً أيضاً أن التمثلات المختلفة التي تنشأ في المجتمع الواحد، هي وليدة التعارض أو التوافق في المصالح إزاء موضوع التمثل، وحتى التقارب السوسولوجي بين المجموعات. مثلاً في مجموعات فرعية نوعية من كلا الجنسين، أو مجموعات اجتماعية واقتصادية أو مهنية يتفاعل الأفراد باستمرار حول موضوع التمثل. وانطلاقاً من هذه التفاعلات وحسب منطق المصلحة والقيم والمعايير الاجتماعية لكل مجموعة، يتحدد معنى الصورة الذهنية، أي التمثل الاجتماعي، تحديداً استراتيجياً واعياً.

أما وليام دواز فيرى أن التمثلات الاجتماعية هي "جملة من المبادئ تنشأ وتتشكل بهدف اتخاذ مواقف مرتبطة باندماجات خاصة في جملة العلاقات الاجتماعية للأفراد" (Doise; 1990)، الأمر الذي يدل على مرونة التمثل وقدراته في التفكير حول التمثل



فيه، بمرونة تجمع بين قهر المجتمع وبين اختيارات الأفراد وتواجههم ومكانتهم في المجتمع. وتوضيحا لهذا، نعرض دراسة موسكوفيتسي عن التمثيلات الاجتماعية في المجتمع الفرنسي للتحليل النفسي، حيث لاحظ بعد تحليل إجابات المفحوصين أن الأفراد الذين لهم خلفية إيديولوجية ماركسية لهم تمثيلات للتحليل النفسي على أنه شبه علم له أصل أمريكي يهدف إلى تكريس فردية الإنسان والمجتمع، محاولاً بذلك إبعاد المجتمع (الشعب) عن كل صراع اجتماعي، مركزاً بذلك على الأنا، الفرد، وتمركزه حول ذاته ورغباته. وهي نظرية لا تتطابق مع الفكر الشيوعي عند هذا النوع من الأفراد المفحوصين.

أماروني كايس Rene Kaes فيرى أن التمثيلات هي نتاج نشاط البناء الفكري للواقع، يقوم به الجهاز النفسي من أول تجاربه الحسية إلى المعلومات المعقدة التي يتلقاها في محيطه، مشكّلة بذلك نقاط مرجعية لفهم الواقع والتعامل معه، أي تفاعل الأنا (الجانب النفسي) مع الواقع والظواهر الاجتماعية المطروحة في المجتمع. حيث يبقى الهدف الأول والأخير للتمثيلات الاجتماعية هو فهم الواقع وإعادة بنائه من أجل التفاعل والاندماج مع هذا الواقع، "فالتمثيلات هي طريقة لتفسير العالم والتفكير في واقعنا اليومي، وشكل من أشكال المعرفة الاجتماعية التي يبنها الفرد بوعي انطلاقاً مما هي عليه، أو مما كانت عليه وما تصبو إليه، والتي تقود تصرفه بشكل متزامن". (1976;Moscovici).

وهكذا، فالتمثيلات الاجتماعية تتميز بكونها رؤية وظيفية للوجود الخارجي، تسمح للفرد أو الجماعة بإضفاء معنى على تصرفاتهم، وفهم العالم عبر نسق مرجعيتهم الخاصة، وبالتالي التفاعل وتحديد موقعهم في المجتمع. يرى "جون كلود ابريد" بأن التمثيل الاجتماعي هو "مجموعة منظمة من الآراء، الاتجاهات والمعلومات، له مرجعيته من موضوع ووضعية ما. وهو محدد في نفس الوقت من طرف الفرد بحد ذاته، (تاريخه، معيشته) ومن طرف النسق الاجتماعي والأيدولوجيات التي من خلالها يكون مندمجاً، ومن طرف طبيعة علاقاته التي يقيّمها مع النسق الاجتماعي.

"إن العلاقة التي تجمع الفرد بالموضوع هي التي تحدد الموضوع في حد ذاته، والموضوع لا يوجد لوحده إلا إذا كانت له علاقة مع الأفراد، فهو يوجد من أجلهم، والتمثل هو دائماً



تمثلاً لموضوع ما من أجل فرد أو جماعة" (Abric; 1994). ويوافقه الرأي Moscovici في هذا الطرح، فهو يرى أنه في التمثلات لا يوجد فوارق قبل كل شيء بين ما هو فردي وما هو جماعي. فبالنسبة لجون كلود أبريك، من أجل دراسة تمثل موضوع ما، يجب أولاً وقبل كل شيء البحث عن مكونات ومحتوى نواته المركزية، ومعرفة المحتوى والمكونات لا تكفي، بل إن تنظيم مكونات هذا المحتوى هو ما يُعرف بالتصور.

إن النواة المركزية أو النواة البنائية هي عنصر أساسي وضروري في التمثل، لأنها في نفس الوقت هي التي تحدد مفهوم وتنظيم التمثل، وهي التي تقاوم التغيير، وكل تغير على مستواها ينتج تغيراً على مستوى التمثل، بل يؤدي إلى تغير كامل. "فالنواة المركزية هي مفتاح التمثل، ولها وظيفتان أساسيتان: الأولى هي الوظيفة الإنتاجية التي من خلالها ينتج ويتحول مفهوم عناصر أخرى بنائية، والثانية هي وظيفة تنظيمية حيث أن النواة المركزية هي التي تحدد طبيعة الروابط التي توحد عناصر التمثل، فهي عنصر موحد ومثبت (مُعَدَّل) للتمثل" (بطواف، 2017-2018). كما ان العناصر المحيطية، حسب أبريك، هي موزعة ومنظمة حول النواة المركزية، ولها علاقة مباشرة مع هذه النواة التي تحدد حضورها، توازنها (Pondération) وقيمتها، ووظيفة هذه العناصر المحيطية، المشكّلة للمحتوى الأساسي للتمثل. فمكانتها ديناميكية وملموسة (Concrète)، قابلة للجدال (Accessible) وللتغير. ف"هي عناصر متدرجة من حيث أهمية تمثل الموضوع، وهي تقترب من النواة المركزية، وتضم المعلومات المتلقاة، المنتقاة والتأويلية، وتضم المعتقدات والابهام (Stéréotypes) الأحكام المشكلة بخصوص الموضوع ومحيطه. وأهميتهم تكمن في أن لهم دوراً مهماً في تبسيط (Concrétisation)، إظهار، وشرح مفهوم التمثل، وفي حالة تغير التمثل، فإنهم يساعدون على ذلك، ويبدأ التغيير بهم أولاً، بعكس العناصر المركزية، والتغير يكون على مستوى التوازن، التأويل، والاندماج... الخ" (Abric; 1994)

وهكذا، نستشف، من خلال المقاربة السايكوسوسيولوجية في حقل علم النفس الاجتماعي لمفهوم التمثلات الاجتماعية، مدى التداخل والتقاطع بين العمليات النفسية والعاطفية الذاتية، مع المحددات الاجتماعية العامة المشتركة، أو مدى ارتباط المشاعر، العواطف، والأفكار مع معطيات المحيط الاجتماعي السائد، وتأثير ذلك بصورة مباشرة في إدراك الواقع وإعادة بنائه معرفياً، أي بناء تمثلات اجتماعية حوله.



#### 4. مناقشة النتائج

من خلال عرضنا السابق لمختلف الدلالات المعرفية التي يتضمنها مفهوم التمثلات الاجتماعية في مختلف حقول المعرفة الإنسانية، بدايةً بالفلسفة، ثم علم الاجتماع، ووصولاً إلى علم النفس الاجتماعي، نتوصل إلى حقيقة منهجية وإبستمولوجية، تتمثل في مصدر ومرجعية بناء مختلف الدلالات والمعاني للمفهوم، وهو الأمر الذي يعطي لنا التميز في المعنى حسب زاوية الاقتراب.

فيتبين لنا من خلال المقاربة الفلسفية للمفهوم، باعتبارها أول مقاربة معرفية له، بأن التمثلات الاجتماعية هي عبارة عن توجهات نظرية عامة ومطلقة، تُبنى بدايةً على معطيات العقل وتفاعلاته مع الواقع، حيث يصبح هذا الأخير (أي العقل) المصدر المفسر والمحدد لإدراكه بدلاً الانطلاق من الواقع وترجمة مدلولاته عقلياً. وهذا ما أكد عليه أبو العقلانية الحديثة، الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت، وكذا العقلانية المثالية عند الفيلسوف الألماني هيغل. والجدير بالملاحظة هنا هو مدى أهمية الاعتماد على العقل في بناء التمثلات الاجتماعية، كما يتبين لنا في المقاربة الفلسفية، إلا أن الاقتراب الفلسفي هو بناء نظري لم يتشكل بعد وفق معطيات الواقع الاجتماعي بحتمياته المختلفة، من جهة، وطبيعة الكائن الإنساني الفردي وعلاقته بمحيطه الاجتماعي، من جهة أخرى. فحتى الفكر المنطقي هو من إبداع المجتمع وليس صفة طبيعية للفرد. فالتمثلات الاجتماعية لا يمكن بناؤها بمعزل عن الحقيقة الاجتماعية وإكراهاتها من أجل العيش المشترك، فالمهم هو معرفة كيفية الإدراك الجماعي، من خلال التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية الممكنة داخل المجتمع، الأمر الذي نجده في الطرح السوسيولوجي.

فسوسيولوجياً، يرى علماء الاجتماع أن بناء التمثلات الاجتماعية يعود إلى وجود المجتمع في حد ذاته، فلو لم يكن المجتمع لما احتجنا إلى بناء مفاهيم تسمح لنا بالعيش المشترك والتفاهم مع الآخر. فحسب الطرح السوسيولوجي، فإن التمثلات الاجتماعية تُبنى وفق ضرورة اجتماعية عامة تتجاوز ما هو فردي وذاتي، فالتفكير المنطقي الذي ينادي به الفلاسفة هو من إبداع المجتمع وليس صفة طبيعية للفرد، وهذا ما ذهب إليه عالم الاجتماع الفرنسي " إميل دوركايم" بكون التمثلات الاجتماعية هي في جوهرها



ذات طبيعة اجتماعية جماعية وجمعية، لها وجودها الاجتماعي المستقل بذاته، وأساسها المشاعر الناتجة عن تفاعل الضمائر الفردية واتحادها. ومن ثمّ، فالوعي الاجتماعي الجمعي يؤثر مباشرة في بناء الوعي الفردي وتفكيره المنطقي. فالكثير من أفكارنا، آرائنا، ميولنا، مواقفنا وغيرها، هي ليست من صنعنا بل تأتينا من خارج ذاتنا، أي من المجتمع، ومن ثمّ، فإن التمثلات الاجتماعية هي مفهوم سوسيولوجي بامتياز، كونها تشمل المعتقدات، الأفكار، القيم، والرموز التي تتشكل من خلال العلاقات الاجتماعية والتوقعات التي تشكل طرق التفكير، بل هي واحدة من الحقائق الاجتماعية التي تشكل مواضيع علم الاجتماع منذ بداية ظهوره واستقلاله كحقل معرفي علمي.

وهكذا، فلا يمكن بناء التمثلات الاجتماعية بمعزل عن الواقع الاجتماعي، إلا أنه من خلال النظرة النقدية للطرح السوسيولوجي السابق حول كيفية بناء المفهوم، نجد هناك مغالاة ومبالغة في إرجاع بناء التمثلات الاجتماعية إلى المتغير الاجتماعي أو السوسيولوجي بالمفهوم العلمي فقط، ذلك أنه لو سلمنا مطلقاً بهذا الطرح، لقضينا على حرية ووعي ومختلف العمليات النفسية والذاتية للأفراد والجماعات، وكذا الفئات الاجتماعية المختلفة، تحت الإكراه والقهر الاجتماعيين. وهذا ما ذهب إليه أنصار المقاربة المتعلقة بحقل علم النفس الاجتماعيين باعتبار أن المقاربة السوسيولوجية للمفهوم هي مقاربة ساذجة، طبيعية ومشتركة بين أفراد المجتمع، وبالتالي فهي ليست علمية وتفتقر إلى الموضوعية والحقيقة العلمية التي تقر بأهمية الجوانب الذاتية وأهميتها في عملية بناء التمثلات الاجتماعية.

فمن خلال مقاربة علماء النفس الاجتماعي، نتوصل إلى حقيقة علمية أخرى مفادها أن التمثل هو عملية ذهنية بالدرجة الأولى، ينتجها الأفراد عقلياً وفق تاريخهم الشخصي وقناعاتهم، وكذا بتفاعله مع العالم الخارجي من أجل إدراكه وإعادة بنائه من خلال التفاعل الاجتماعي. ومن هنا تأتي المفارقة مع الطرح السوسيولوجي فموسكوفيتشي عالم النفس الاجتماعي وأحد خبراء مفهوم التمثلات الاجتماعية، أحدث إضافات علمية للمفهوم، فياثيرمولوجياً استبدال التسمية التي أطلقها إميل دوركايم للمفهوم، أي التمثلات الجمعية بالتمثلات الاجتماعية. فالتمثلات الجمعية بالمفهوم الدوركايمي تلغي كل ما هو نفسي وفردى، في حين أنالتمثلات الاجتماعية تتشكل وفق تحديد علم النفس



الاجتماعي من خلال وعي الأفراد وتاريخهم الشخصي وتفاعله مع الواقع الاجتماعي بمختلف مكوناته. وعليه، فإن عملية بناء التمثلات الاجتماعية هي نتيجة نشاط البناء الفكري للواقع الاجتماعي، يقوم به الجهاز النفسي من أولى تجاربه الحسية الأولية المعطاة إلى المعلومات المعقدة التي يتلقاها في محيطه. مشكلة بذلك نقاط مرجعية لفهم الواقع الاجتماعي والتفاعل معه، أي تفاعل "الأنا" الذاتي الشخصي الفردي مع "الأنا الأعلى" المجتمعي بمختلف مكوناته الخارجية.

فالهدف من بناء التمثلات الاجتماعية في نهاية المطاف هو إدراك الواقع وإعادة بنائه، وليس فقط التمثل من أجل التمثل، وبالتالي تصبح التمثلات الاجتماعية شكلاً من أشكال المعرفة الاجتماعية التي يبنها الفرد بوعي، انطلاقاً مما هي عليه، أو مما كانت عليه وما تصبو إليه، إذ تسمح للأفراد بإضفاء معنى اجتماعي عام لسلوكياتهم والوجود، وبالتالي تحديد موقعهم الشخصي فيه.

وعليه، فإن عملية فهم الوجود وإدراكه وإعادة بنائه، أي تمثله اجتماعياً، هي عملية مُركّبة تشترك في بنائها وكيفية تفاعلها مع الواقع الاجتماعي مجموعة من المتغيرات ذات أبعاد فلسفية وسايكوسوسيولوجية، فهي فعلا عبارة عن مفهوم يقع في مفترق العلوم الإنسانية والاجتماعية، وتشمل عملية بنائها كل ما هو عقلي ونفسي واجتماعي.

### خاتمة

من خلال عرض وتحليل التعاريف المختلفة لمفهوم التمثلات الاجتماعية وما تتضمنه من دلالات معرفية، نستشف لأول وهلة أهمية التفكير كظاهرة إنسانية يتوصل من خلالها الإنسان إلى بناء تمثلاته حول العالم المحيط به، وهذه هي مهمة الفلاسفة، فهم الأوائل الذين تناولوا مفهوم التمثلات الاجتماعية للتفاعل مع عالمهم الخارجي، وفق النهج العقلاني بمختلف توجهاته: العقلانية المطلقة عند ديكارت والعقلانية المثالية عند هيغل. كما نستنتج حقيقة معرفية وأبستمولوجية تتعلق بعلم الاجتماع تحديداً، تتمثل في اعتبار التمثلات الاجتماعية مفهوماً سوسيولوجياً ينشأ في السياق الاجتماعي للأفراد والجماعات، من خلال العلاقات الاجتماعية وما تتضمنه من احتميات اجتماعية متعددة من جهة، وحقيقة علمية أخرى تشمل الجانب النفسي-الاجتماعي، تتمثل في كون مفهوم التمثلات الاجتماعية يحمل نَسَقاً من المواقف والأفكار والمشاعر



اتجاه موضوع ما (فكرة، شخص، شيء... الخ) التي يُكوّنُها الأفراد والجماعات في المجتمع وفق عمليات نفسية وعاطفية واستراتيجيات عقلانية، يبنون من خلالها تمثيلات اجتماعية حول مواضيع مختلفة، حيث تصبح هذه التمثيلات الاجتماعية مرجعية فكرية مترسخة في الضمير الجمعي للأفراد والجماعات.

وهكذا تتشكل الدلالات المعرفية لمفهوم التمثيلات الاجتماعية حسب التطورات التي عرفها تاريخ هذا المفهوم، منهجيا وبيستمولوجيا، وحسب كل حقل معرفي يخص الفرد والمجتمع. فبعد ما كان مصدر التمثيلات الاجتماعية فلسفياً هو العقل، تغير هذا المصدر بعد ظهور العلوم الإنسانية وانفصالها عن الفلسفة، ليصبح المصدر مرجعاً آخر ذات طبيعة مستقلة تتعلق بالمجتمع وثنائية العلاقة بين الفرد والمجتمع كمصدر لبنائها.

## المراجع

1. بطواف ج، 2017-2018.. صورة الذات وتمثيلات سرطان الدم عند نساء جزائريات مصابات به. مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه أطروحة. جامعة وهران 02، الجزائر.
2. سكوت جون، 2009. المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان.
3. سبعون سعيد، 2005-2006. تصورات الشباب الجزائري للجنسانية. مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة الجزائر 02، الجزائر.
4. سميسم حميدة مهدي، 2009. بنية الصورة و سياسة الاتصال، دراسة في اشكالية البنية الاتصالية للاستهلاك و الثقافة العربية .
5. شوبنهاور ارثر ، 2006. العالم ارادة و تمثلا. المركز القومي للترجمة. القاهرة .
6. Abric J C, 1994. Les représentations sociales :aspects théoriques, PUF, Paris.
7. Doise W, 1986. Social representations, definitions of a concept, in the study of social representations: under the direction of Willem Doise, Augusto Palmonari, De lachaux , Nieslé, Neuchatel Edition, Paris.
8. Doise W, 1990. The sociale representations: J .F.Richard, R. Ghiglione and C .Bonnet (Eds) , treatise on cognitive psychology: Dunod Edition, Paris.
9. Durkheim E, 1991. The elementary forms of religious life: French general library, PUF, Paris.
10. Durkheim E, 1998. Individual representations and collective representation: review of metaphysic and moral, PUF, Paris.
11. Gilles Ferréol, Dictionary of Sociology: Nathan University, Paris.



12. Jodelet D, 1984. Représentations sociales :phénomènes,concepts et théorie,In S,Moscovici,S/D psychologie sociale,Quadriage,Paris.
- 13.Moscovici S, 1961. Collective representations in social representations: PUF,Paris.
- 14.Moscovici S, 1976. Introduction to social psychology:bookseller Larousse,Paris.
15. Moscovici S, 1989. Psychoanalysis,its image and its public:PUF, Paris.
- 16.Ramos J M , 1992. Social representations and temporalities:temporalities edition.

